

اسحر هذا اتخذ الفقه منه موقفاً ، ووضع له حكماً . يقول الشهيد - نور الله ضريحه - في (اللمع الدمشقية) - وهي من أغنى كتب الفقه متناً وشرحاً -: تعلم هذا الفن واجب كفاً ، وتعليل فرض تعلمه واضح ، فإن صيانة عقل الأمة واجب بالبداهة ، لأن بقاءها عرضة لغزو الشعوب والتضليل لا يشكل خطراً على عقائدها فقط ، بل هو خطر على وعيها التقدمي قبل ذلك ، فخضوعها لتضليل الشعوب يعيبها بالضمور العقلي والسخر للذين يؤخران سيرها ، ويكشفانها لغزو الأقوياء ، وإنما فرض تعلمه لإبطال مفاعيله هذه بفصح الشعوذة ، تماماً كما فعل موسى (عليه السلام) في مرحلته .

ومثل آخر:

الفلك ، الهيئة ، الجغرافيا ، الرياضيات ، علوم لا يتوقف عليها اختصاص الفقيه . الاختصاص الضيق . فهو لا يحتاج إليها إلا في أبسط ما تناوله مقدماتها ، وفي أبسط معلوماته هو وبدهيته . لا يحتاج إليها في تعيين القبلة من جنوب الجزيرة ، وفي عمليات الأرض . وفي تقدير سهام الدولة من الزكاة والفداء . ومع هذا كان الفقهاء أنفسهم يتعلمونها كمواضع مغذية للاختصاص الخاص باعتبار ، وكوسائل لتحسين الاختصاص العام باعتبار أقوى . ذلك لأن الفقيه الواعي المخلص العادل . الفقيه المستوفى لشروطه يحس مسؤوليته الكبرى ، ويفى بتعهداته أن يكون أميناً على رسالته . رسالة نيابته عن الإمام بكل ما يلزمه به هذا المركز من كفاءات القيادة والعلم والعدل والسهر المتواصل على تصعيد الحياة العامة في درجاتها الارتقائية ، وهو يعرف أنه الموجه لربط الأنظمة العليا . الفوقية ، بالنظام الإسلامي الاشتراكي الأساسي .

لهذا يحرص . كان يحرص أبداً على التوسط بين الثقافات والمعارف والفنون لئلا يفقد معناه وقيمة وجوده .

فماذا حدث بعدئذ؟